



جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة



مجلة

العلوم الإنسانية و الحضارة

مجلة دولية محكمة تصدر عن
كلية العلوم الإنسانية و الإسلامية الحضارة
بجامعة الاغواط

رقم الترقيم الدولي ISSN 2661-7307
رقم الإيداع القانوني ديسمبر 2018

البريد الإلكتروني للمجلة
Facshsic.shc@lagh-univ.dz

كلمة العميد

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد و آله و صحبه أجمعين □

يسر كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة بجامعة عمار ثليجي بالأغواط إصدار العدد السادس من "مجلة العلوم الإنسانية والحضارة" التي نأمل أن تكون فضاء مشتركاً لكل الباحثين والاختصاصات.

بادرت إدارة الكلية إلى هذا المسعى العلمي الأكاديمي من أجل توحيد جهود الأسرة الجامعية، والرقى بالبحث إلى مصاف الجامعات العريقة بتكاتف صفوف الجميع دون إقصاء، و بذلك نضمن انتظام صدورها من جهة و نوعية محتوياتها من جهة ثانية، واتساع رقعة قرائها من جهة ثالثة.

تهدف المجلة إلى نشر أعمال و اهتمامات الباحثين لمن أراد ذلك و دون شرط سوى ما تعلق منه بقواعد النشر المذكورة في المجلة. و ينتظر منها أن تعطي فرصة للجميع بما فيها طلبة الدكتوراه والباحثين في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية مثل الدراسات التاريخية و الأثرية و علوم الإعلام و الاتصال و العلوم الإسلامية و علم النفس والفلسفة و علم الاجتماع.

ونأمل أن نلقى الدعم والتشجيع من أجل تجسيد هذا المسعى الذي راود الكثير من أساتذة الكلية، وتبقى المجلة مفتوحة لجميع الأقسام الجادة والعقول النيرة والارادة الخالصة للبحث.

عميد الكلية محمود علالي

2021/06/28

فهرس العدد

الصفحة	العنوان	الرقم
23-05	قراءة في الفن الصخري لإنسان العصر الحجري الحديث موقع عين الناقة بالجلفة د . كيدار عبد الوهاب د . بقة بالخير	01
41-24	فكرة الدولة ونشأتها عند عبد الرحمن ابن خلدون د. سعودي أحمد	02
61-42	الموانئ في مصر القديمة " الدولة الحديثة أنموذجا" 1085-1580 ق.م د. محفوظي بلعباس	03
80-62	ضوابط ومآلات التواصل بين الجنسين (العلاقات الالكترونية أنموذجا) د. جلال الدين معيوف	04
105-81	صورة الإسلام في التكوين الحضاري للدولة العثمانية د. فاطمة الزهراء رحمانى	05
120-106	منهجية محمد عابد الجابري في قراءة التراث العربي الإسلامي شويرب هنية لشعل أحمد	06
145-121	الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجا د. خديجة خيري عبدالكريم خيري	07
169-146	منظمات المجتمع المدني في العراق وأثرها في التحولات الديمقراطية د. سراب جبار خورشيد	08

الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجاً
Epidemics and plagues in the kingdom of Granada
(The Black Death as a model)

د. خديجة خيري عبدالكريم خيري*

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم (السودان) khadigakhairy@uofq.edu.sd

تاريخ الإرسال: 2021/06/01 تاريخ القبول: 2021/06/25 تاريخ النشر: 2021/06/30

الملخص:

يتناول هذا البحث وباء الطاعون الجارف الذي انتشر في مملكة غرناطة وفي معظم أنحاء العالم بين عامي (748-750هـ/1347-1351م) بهدف البحث إلى رصد أهم ما كتب عن أسباب الوباء وظهوره وانتشاره وأثره الاجتماعي، والاقتصادي، والصحي، اتبع في معالجة موضوع البحث المنهج التاريخي مع التحليل والنقد والتحليل والمقارنة. خلص البحث إلى؛ إن الجهل بأسباب وباء الطاعون في العصور الوسطى وطرق علاجه ساعد على انتشاره في أنحاء العالم. لعب العلماء الأندلسيين بإنتاجهم العلمي، وبتعزيزهم لثقافة التكافل والتضامن المجتمعي في الحد من تداعيات وباء الطاعون الجارف. ساهم عدد من أطباء مملكة غرناطة ممن شهدوا الطاعون الجارف أمثال ابن الخطيب، وابن خاتمة، والشقوري في دراسة الطاعون ووضعوا فيه تواليف هدفوا من خلالها التعريف بالطاعون وأنواعه وأسبابه وأعراضه وسبل الوقاية والعلاج منه. الكلمات المفتاحية: الأوبئة، الطواعين، غرناطة، الأطباء.

Abstract:

Historical research on epidemics is an important type of research. It documents lessons learned from devastating human experiences. This research deals with the Black Death epidemic which spread in Kingdom of Granada and to most parts of the world between the years (748-750/1347-1351) The research aims to trace the most important literature on the causes of the epidemic, its appearance, its spread, and its economic, social, and health impact. The researcher adopted the historical method. The key findings from this research are: The most important factor contributed to the spread of the plague documented in the literature was the ignorance about the plague and its modes of transmission significantly contributed to its spread. Andalusian scientists played a key role in social mobilization and improved community participation to control the epidemic. Doctors at the Kingdom of Granada like Ibn Al-Khateeb, Ibn Khatema, and Al-Shaqoury have significantly contributed to the black death literature. They have described a clinical case definition for the plague, its causes, symptoms, and its prevention and control.

Keyword: Epidemics, plagues, Granada, Doctors

مقدمة:

إن موضوع الأوبئة والأمراض من المواضيع غير التقليدية، كونها تغطي جوانب مهمة من التاريخ البيئي والصحي، فالتاريخ للأزمات والذي يندرج ضمنه موضوع الأوبئة ظهر كنمط جديد للكتابات التاريخية التي لم تعد قاصرة على التاريخ للطبقات الحاكمة، وعلى تمجيد البطولات والأشخاص فحسب، بل تعدت لتشمل مجالات أوسع نحو؛ التاريخ الاقتصادي، والاجتماعي، وتاريخ العلوم والفنون، وتاريخ الأمراض والأوبئة والمجاعات... وبالتالي تحرر التاريخ من الرؤية التقليدية، وأصبح أكثر شمولية.

ولعل في وباء كورونا (Covid-19) الذي تفشى وانتشر منذ أواخر العام 2019م، في جميع أنحاء العالم، وعصف بأعتى الدول، وشغل الحكام والمحكومين، العلماء والعوام، القادة والمفكرين دافع لنا للكتابة حول موضوع الأوبئة في التدوين التاريخي من خلال بحثنا الموسوم بالأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة – الطاعون الجارف نموذجاً

– حاولنا من خلاله تسليط الضوء على التحديات المستمرة التي تشكلها الأوبئة والطواعين على حياة الإنسان وحضارته بصورة عامة، ولما تركه من آثار على النواحي الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بصورة خاصة.

أهمية البحث:

استمد البحث أهميته من جائحة كورونا التي يشهدها عالمنا اليوم ويعيش أسوأ فصول آثارها. فوباء الطاعون وخاصة الطاعون الجارف الذي تفشى وانتشر في منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وعانى منه المجتمع الأندلسي لا يقل خطورة عن هذه الجائحة وآثارها.

يهدف البحث إلى:

1. التعريف بمفهومى الوباء والطاعون، وبيان العلاقة بينهما.
2. التعريف بوباء منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.
3. بيان أثر وباء الطاعون الجارف على المجتمع الغرناطي.
4. رصد أهم ما كتب حول وباء الطاعون الجارف وتداعياته.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما المقصود بالوباء والطاعون؟ وهل ثمة علاقة بينهما؟
2. ما هو وباء الطاعون الجارف، وما هي أسبابه؟
3. ما الجهود التي بذلت للحد من وباء الطاعون؟
4. ما هي أهم الآثار المترتبة على تفشي وباء الطاعون الجارف في المجتمع الغرناطي؟

منهج البحث وخطته:

اتبعنا في هذا البحث المنهج التاريخي مع التحليل والاستنتاج والنقد والتحقيق والمقارنة في ضوء ما ورد في المصادر والمراجع المعنية بموضوع البحث. اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة تضمنت أهم النتائج، وقد جاءت مباحثه على النحو التالي:

المبحث الأول: الأوبئة والطواعين: الدلالة والمفهوم

تناولنا فيه بالتعريف مفهومي الوباء والطاعون لغة واصطلاحاً، ووضحنا كيفية إصابة الإنسان به، كما تعرضنا فيه لأنواع الطواعين.

المبحث الثاني: وباء منتصف القرن 8هـ/14م: أسبابه وآثاره.

تناولنا فيه طبيعة الوباء وأسبابه ومراحل انتشاره، وآثاره على المجتمع الغرناطي، والتي تجلت في ارتفاع عدد الوفيات نتيجة الإصابة بالمرض.

المبحث الثالث: الطاعون الجارف في أدبيات معاصريه من المسلمين.

تناولنا فيه أهم المؤلفات المعاصرة للوباء وبيننا من خلالها الجوانب المتعلقة بالطاعون من حيث أسبابه، وأعراضه، وعلاجه، وطرق الوقاية منه.

1. الأوبئة والطواعين: الدلالة والمفهوم.

1.1 الوباء في اللغة والاصطلاح:

1.1.1 الوباء في اللغة :

يقول صاحب الصحاح " الوباء يمد ويقصر: مرض عام وجمع المقصور أوباءً وجمع الممدود أوبئةً وقد وبتت الأرض توباً وبتاً فهي موبوءة، إذا كثرت مَرَضُهَا"¹. وقال ابن منظور(ت:711هـ/1311م):"الوباء: الطاعون بالقصر والمد والهمز. وقيل هو كل مرض عام، وفي الحديث: إن هذا الوباء رجز. وجمع الممدود أوبئة وجمع المقصور أوباء...وأرض وبيئة على فعيلة ووبئة على فعلة وموبوءة وموبئة: كثيرة الوباء"². ويقول صاحب القاموس المحيط: " الوباء، محركه: الطاعون، أوكل مرض عام"³. وفي ذلك يتفق مع ابن منظور.

والوباء في معجم لغة الفقهاء:" بفتح الواو مصدر وبؤ وؤبيء، جمع أوبئة؛ المرض الذي تفشى وعم الكثير من الناس، كالجدري والكوليرا وغيرهما"⁴.

2.1.1 الوباء في الاصطلاح الطبي:

عرف ابن سينا(ت:428هـ) الوباء بأنه:" بعض تعفن يعرض في الهواء يشبه تعفن الماء في المستنقع الآجن"⁵. وعرفه ابن النفيس (ت:607هـ/687م) فقال الوباء: "فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية كالماء الآسن والجيف الكثيرة كما في

الملاحم إذا لم تدفن القتلى ولم تحرق، والتربة الكثيرة النز...⁶. والوباء في تعريف داود الإنطاكي (ت:1008هـ/1599م): "تغير الهواء إلى الفساد"⁷.

1.2.1 الطاعون في اللغة :

يقول الجوهري في الصحاح: "الطاعون الموت الوحيُّ و الجمع الطواعين"⁸.

وقال ابن منظور: "الطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهَوَاء فتفسد له الأمزجة والأبدان"⁹. والطاعون عند الفيروزآبادي (ت:817هـ/1415م) الوباء و الجمع طواعين¹⁰.

2.2.1 الطاعون في الإصطلاح الطبي :

عرف الرازي (ت:313هـ) الطاعون بأنه: "ورم حار يعرض في الأربيات والإبط ويقتل في أربعة أو خمسة أيام"¹¹. والطاعون في تعريف ابن الخطيب الغرناطي: "مرض حاد، حار السبب، سمي المادة، يتصل بالروح بدءاً بواسطة الهواء، ويسري في العروق، فيفسد الدم، ويحيل رطوباته إلى السمية، وتتبعه الحمى ونفث الدم، أو يظهر عنه خراج، من جنس الطواعين"¹². وعرفه ابن خاتمة المالقي بأنه: "حمى خبيثة دائمة، ينتج عن سوء مزاج قلبي، بسبب تغير الهواء عن حاله الطبيعية إلى الحرارة والرطوبة مهلكة في الغالب، يتبعه كرب وعرق غير عام لا يعقب راحة ولا ترتفع عقبه حرارة..."¹³.

والطاعون في التعريف الطبي الحديث؛ مرض وبائي بكتيري معدي حاد¹⁴، وهو من الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان، ويصنف كأحد الأمراض الخطيرة¹⁵، يعود في أصوله إلى عصور موعلة في القدم¹⁶، يأتي في شكل جوائح تجتاح البلاد والعباد وتحصد الألف من الناس¹⁷، تسببه بكتيريا حيوانية المنشأ تسمى اليرسينية الطاعونية *Yersinia Pestis* توجد لدى صغار الثدييات والبراغيث المعتمدة عليها، تم اكتشافها سنة 1894م بواسطة العالم السويدي الفرنسي الكسندر يرسين فسميت باسمه¹⁸.

ومما تقدم نستطيع أن نلاحظ أن الوباء والطاعون مفهومان مختلفان، وإن الخلط بينهما عند أهل اللغة واضح¹⁹. فالوباء المرض العام الذي قد يكون طاعوناً وقد لا يكون، ومن ثم الطاعون أخص من الوباء، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون²⁰.

2.1 طرق الإصابة بالطاعون:

الطاعون في الأساس مرض القوارض، يبقى ويستمر بينها بصورة متوطنة تصل أحياناً إلى حد الوباء، وينتقل فيما بينها بواسطة البراغيث التي تعيش عليها²¹. وينتقل الطاعون إلى الإنسان بالطرق التالية:

أ. لدغات البراغيث: غالباً ما تنتقل بكتيريا الطاعون إلى الأشخاص عن طريق لدغة برغوث مصاب، خاصة أثناء أوبئة الطواعين يكون الإنسان والحيوان أكثر عرضة للإصابة بلدغات البراغيث، وقد يؤدي التعرض للدغة البراغيث إلى الطاعون الدبلي أو الطاعون التسممي.

ب. ملامسة سوائل الجسم المعدي أو الأنسجة الملوثة: يمكن أن يصاب الشخص بالعدوى عند التعامل مع أنسجة أو سوائل حيوان مصاب، وينتج عن هذا التعرض الإصابة بالطاعون الدبلي أو الطاعون التسممي.

ت. الرزاز المنبعث من الجهاز التنفسي لشخص مصاب بالطاعون الرئوي: يتطلب هذا الاتصال المباشر بالشخص المصاب فإذا ما تم استنشاق هذا الرزاز المحتوي على بكتيريا الطاعون من قبل شخص آخر معافي، فمن الممكن أن يصاب بالطاعون الرئوي، كما من الممكن أن تشكل الحيوانات الأليفة المريضة كالقطط خطر نقل رزاز وقطرات الطاعون المعدية إلى أصحابها أو من يتعامل معها كالأطباء البيطريين مثلاً²².

3.1 أنواع الطواعين:

تظهر الطواعين التي تصيب الإنسان في ثلاثة أنواع، تختلف من نوع إلى آخر وفقاً لطرق انتقالها وانتشارها وهي:

1) الطاعون الدبلي Plague Bubonic

يعد الطاعون الدبلي والمعروف أيضاً بالغددي أو الخراجي²³، من أكثر الطواعين شيوعاً، يصاب به الإنسان عند لدغه ببرغوث مصاب بعدوى المرض، فتخترق عصيات اليرسينية الطاعونية الجسم عبر الجهاز اللمفي وتصل إلى أقرب عقدة لمفية وتبدأ في التكاثر فيها، ومن ثم تلتهم العقدة اللمفية وتصبح متورمة ومؤلمة وتسمى الدبل، ومع تقدم العدوى تتحول إلى تقرحات مليئة بالصديد²⁴. ويعتبر انتقال الطاعون الدبلي بين

البشر أماً نادراً، إلا أنه قد يتطور وينتشر إلى الرئتين فيما يعرف بالطاعون الرئوي²⁵.
وإذا ما تكاثرت البكتيريا في مجرى الدم بصورة سريعة يعرف بالطاعون التسمي²⁶.

(2) الطاعون الرئوي Plague Pneumonic

يعتبر - الطاعون الرئوي- من أخطر أنواع الطواعين فتكاً بالمريض ومخالطيه، ذكره ابن خلدون في مقدمته فقال: "فإذا كان الفساد قوياً وقع المرض في الرئة، وهذه الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة " ²⁷. ينجم عن استنشاق رزاز معدي، وقد يتطور من الطاعون الدبلي أو التسمي وذلك بعد انتشار البكتريا في الرئتين، وهو النوع الوحيد من الطواعين الذي يمكن أن ينتشر من شخص إلى آخر بواسطة الرزاز المتطاير من فتحتي الفم والأنف عند سعال وعطاس الشخص المريض²⁸. وقد أشار ابن الوردي(ت:749هـ/1350م) في مقامته إلى هذا الطاعون الرئوي عند وصفه لطاعون منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي والذي راح ضحيته حيث يقول: "ومن الأقدار أنه يتبع الدار فمتى بصق واحد منهم دمماً، تحقق كلهم عدماً، ثم يسكن الباقين الأجداث بعد ليلتين أو ثلاث"²⁹.

(3) الطاعون التسمي الدمى Plague Septicemic

يحدث نتيجة للدغات البراغيث المصابة أو التعامل مع حيوان مصاب أو كمضاعفات مرضية للطاعون الدبلي أو الطاعون الرئوي، يتميز بارتفاع شديد في درجة الحرارة وهبوط حاد في القلب³⁰، ونزيف في الجلد والأعضاء الأخرى، وتحول الجلد والأنسجة الأخرى خاصة على أصابع اليدين والقدمين والأنف إلى اللون الأسود³¹. وهذا النوع من الطواعين سريع القتل وقد أشار إليه ابن سينا حيث قال: "أسلم الطواعين ما هو أحمر ثم الأصفر والذي إلى الأسود لا يفلت منه أحد"³².

2. وباء منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي: أسبابه وآثاره

2.1 الطاعون الجارف: أسبابه ومراحل انتشاره:

تعرضت مملكة غرناطة إلى الكثير من الأوبئة والأمراض التي تعددت أسبابها وتباينت آثارها، ولعل أخطرهما وأشدها وباء منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، والمعروف بالطاعون الجارف فما هو هذا البوء؟ وما هي آثاره؟

يعد الطاعون الجارف من أسوأ الأوبئة التي عرفتها البشرية، انتشر بين عامي (1347-1351م) وتفشى في أنحاء العالم، يقول المقريزي (ت:845هـ) " لم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم، بل عم أقاليم الأرض شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً جميع أجناس بني آدم، وغيرهم..."³³. عرف طاعون منتصف القرن الثامن الهجري في المصنفات العربية بمسميات وصفات عدة نحو: الطاعون الجارف، الطاعون العام، الطاعون العظيم، الطاعون الكبير، الموتان، المرض الوافد، المرض الهائل، طاعون الأنساب³⁴. وعرف في الأدبيات اللاتينية بالموت الأسود Black Death، نسبة للتورمات السوداء التي ظهرت على أجساد الضحايا³⁵ وبالطاعون العظيم Great Plague³⁶.

تفشى الطاعون في ثلاثينيات القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، من موطنه المعزول في الصين³⁷، ثم انتقل شرقاً وظهر في أربعينيات القرن نفسه في مناطق العالم الإسلامي الشرقية ومنها عبر القوافل التجارية انتقل إلى المناطق الغربية³⁸. ففي مستهل ربيع الأول عام 749/ يونيو 1348م ظهر الوباء في مدينة المرية، وتفشى بصورة واسعة في خريف نفس العام، وفي السنة نفسها انتقل إلى مدينة مالقة، وغيرها من المدن الأندلسية، إلا أن ظهوره في مالقة والمرية كان الأقوى³⁹.

ترجع بعض المصادر الأندلسية الطبية المعاصرة للوباء أسبابه إلى سببين؛ أقصى وأدنى، فالسبب الأقصى يتمثل في الأمور الفلكية، أما الأدنى فيتمثل في فساد الهواء ابتداءً من محل ظهوره أو انتقالاً⁴⁰. أما أعراضه فلم تكن واحدة فبعض الناس ماتوا فجأة والبعض بعد معاناة لمدة ساعة وهناك حالات يبقى فيها المصاب لأيام⁴¹. ومن الأعراض التي ظهرت على المصابين؛ الحمى الشديدة، وظهور الخراج في منطقة الأذنين أو الإبطين أو الفخذين⁴²، التهاب الحلق والرئتين، آلام شديدة في منطقة الصدر، القيء وبصق الدم⁴³، أورام سوداء في بعض مواضع الجسم يصحبها إسوداد الجلد نتيجة للتنزيف الداخلي⁴⁴.

2.2 إجراءات وآليات مواجهة الوباء في مملكة غرناطة:

لا تسعفنا المصادر بمعلومات وافرة توضح لنا أسلوب السلطة الحاكمة في غرناطة في التعامل مع وباء الطاعون، ومن خلال ما توفر يمكن أن نجمل الأساليب التي اتبعت في التعامل مع هذا الوباء في:

(1) الحجر الصحي:

يعد الحجر الصحي من الوسائل الناجعة للحد من انتشار الأمراض الوبائية، فبموجبه يمنع أي شخص من دخول المناطق الموبوءة والاختلاط بأهلها، كما يمنع أهل تلك المناطق من الخروج منها سواء أكان الشخص معافاً أم مصاباً بالوباء⁴⁵. وفي السنة النبوية عدة أحاديث صحيحة تبين مبادئ الحجر الصحي والتي تتجلى في منع الناس من الدخول إلى المنطقة المصابة بالطاعون، ومنع الناس من الخروج منها، وجعل ذلك كالفرار من الزحف، والذي يعد من الكبائر السبع المهلكة لصاحبها في النار، أما الصابر فله أجر الشهيد⁴⁶. وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تفتنى أمتي إلا بالطعن والطاعون" قلت: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: "غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف"⁴⁷. فما العلة من منع الناس من الخروج من المنطقة الموبوءة ومن الدخول إليها؟

أثبت الطب الحديث أن الشخص السليم في منطقة الوباء قد يكون حاملاً للميكروب دون أن تبدو عليه أي أعراض، وعلى ذلك فهو ينقل المرض إلى الأصحاء، أضف إلى أن الفترة التي تسبق ظهور الأعراض - والتي تعرف بفترة حضانة الميكروب وتكاثره- لا تبدو على الشخص أنه يعاني من المرض، ولكن بعد فترة من الزمن قد تطول وقد تقصر - وذلك على حسب نوع المرض والميكروب الذي يحمله- تظهر عليه أعراض المرض الكامنة في جسمه⁴⁸. وجملة القول إن في النهي عن الدخول في الأرض الموبوءة بالطاعون؛ الأمر بأخذ الحيطة والحذر، والنهي عن التعرض لأسباب الإصابة بالمرض، وفي النهي من الفرار منه؛ الأمر بالتوكل على الله والتسليم بقضائه وقدره⁴⁹.

وعلى الرغم من عدم توفر معلومات تشير إلى تطبيق الحجر الصحي كإجراء احترازي في مدن مملكة غرناطة، إلا أن الطبيب ابن خاتمة أشار - في مؤلفه تحصيل غرض

القاصد في تفصيل المرض الوافد- إلى مدى فاعليته في الحد من الإصابة بالطاعون⁵⁰ ، كما أن هناك مناطق بحكم طبيعتها المعزولة سلم أهلها من الوباء، وذلك ما كان من أمر آلف الأسرى المسلمين في سجن إشبيلية، فرغم تفشي الوباء في المدينة إلا أنهم سلموا منه⁵¹ .

(2) العزل:

ورد في الأثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا توردوا الممرض على المصح"⁵² وفي هذا الحديث إشارة واضحة لعزل المرضى. وقد أدرك أطباء غرناطة أهمية عزل المريض تجنباً لانتشار العدوى، كما وضحو خطورة انتقال المرض عن طريق مواضع الفساد من المريض أو الشخص الميت، و متعلقاته من أواني، وملابس، أو محل السكن الذي فشى فيه الوباء⁵³ .

(3) التأليف بقصد التصدي للطاعون:

لقى الطاعون الجارف اهتمام أطباء مملكة غرناطة فوضعوا فيه مؤلفات جاءت في شكل رسائل ومقالات ونصائح تهدف إلى تقديم النصح الطبي كوقاية وكعلاج من الوباء⁵⁴ .

(4) التكافل والتضامن الشعبي :

شكل وباء الطاعون مناسبة للفئات الفاعلة في المجتمع لمُد يد المساعدة للمحتاجين وللمتضررين من الوباء⁵⁵ . وقد لعب الفقهاء دوراً بارزاً في حث الناس على البذل والعطاء لمواجهة الأزمات، ففي مالقة لما حل بهم الوباء حثهم فقيهم محمد بن أحمد بن قاسم الأمي على بذل الأموال فجمعوا منها "ما لا يأخذه الحصر ولا يدركه الإحصاء"⁵⁶ ، وقلدوا أمر توزيعها لقاضهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي، فعم بنفعها الأحياء والأموات⁵⁷ .

(5) العلاج:

كان العلاج على نوعين؛ وقائي قبل وقوعه، وعلاجي بعد الإصابة به، فالوقائي يكون باستفراغ المادة الزائدة، وبإصلاح الأغذية، باختيارها معتدلة مائلة إلى البرودة والتغليظ، وإصلاح الأهوية والمجالس بالطيبوب الباردة والرياحين، وتجنب المرضى ومتعلقاتهم، وكذلك الموتى⁵⁸ ، والميل إلى السكون والاعتدال في الحركة عند الحاجة إليها، والتعرض

إلى ما يشرح الصدر وييسط النفس⁵⁹. أما العلاجي فلم يوفق الأطباء في التوصل إلى علاج ناجع للطاعون خاصة بعد استحكامه، وعلى ذلك فقد كان يتم العلاج وفقاً لأطوار ومراحل الإصابة بالمرض، فالحصى بعلاج الحصى، و نفث الدم بعلاج ذات الرئة، والخراج بتسكين اللدع وبالفصد⁶⁰.

6) التضرع إلى الله :

عمدت الدولة في بعض المناطق - كالشام ومصر- إلى توجيه الناس إلى التوبة والرجوع إلى الله بالصيام والصلاة والدعاء لرفع الوباء⁶¹. أما في غرناطة فلم نقف على ما يشير إلى أن الدولة وجهت الناس إلى التضرع إلى الله بيد أن هناك ما يشير إلى أذكار وأدعية معينة قيلت زمن الوباء نحو: " اللهم سكن فتنة صدمات قهرمان الجبروت، بألطافك النازلة من باب الملكوت، حتى نتشبت بأذيال قدرتك، ونعتصم بك، يا ذا القدرة الكاملة والرحمة الشاملة، يا ذا الجلال والإكرام"⁶².

3.2 أثر الطاعون على المجتمع الغرناطي:

تفاوت أثر الطاعون على سكان مدن مملكة غرناطة وعلى فئات المجتمع الغرناطي، فعدد الوفيات كان كبير في المدن الكبيرة مثل المرية ومالقة، وهذه الأخيرة ولشدة فتك الوباء بها شهدت وفيات كبيرة، وهجرات، ولعل في نص الشيخ أبو الحسن المالقي - والذي كان شاهداً على ما وقع في مالقة- صورة واقعية تعكس أثر الطاعون على ديموغرافية سكان مالقة إذ يقول في ذلك: "وقد شاهدنا منه غرائب يقصر اللسان عن بيان جملة أجزائها، ومنها انتهى عدد الأموات في تلك الملحمة الوبائية بمالقة إلى ما يزيد في اليوم على الألف، بقي بعد ذلك أشهراً حتى خلت الدور، وعمرت القبور، وخرج أكثر الفقهاء والفضلاء والزعماء..."⁶³.

أما فيما يتعلق بالفئات التي فتك بها الطاعون نجد أن الطاعون الجارف الذي تفشى في مناطق مختلفة بالأندلس تسبب في وفاة جمهرة عظيمة من رجال الدولة وعلمائها وعامة الناس، فمن الأطباء الغرناطيين الذين ماتوا في هذا الوباء الطبيب التاجر ابن عبد البر أحمد الخولاني، توفي نتيجة لإصابته بالعدوى إما نتيجة لمزاولته لمهنة الطب، أو نتيجة احتكاكه بالتجارة خاصة أنه توفي بتونس سنة 750هـ⁶⁴. وفقدت مالقة - بسبب

هذا الوباء؛ الفقيه محمد بن أحمد الأمي، كان من العباد والزهاد صاحب مجلس وعظ وإرشاد، توفي في الرابع من صفر سنة 750هـ⁶⁵. وابن منظور القيسي من أعلام قضائها والذي توفي في منتصف صفر سنة 750هـ⁶⁶، ومحمد بن محمد بن محارب الصريحي توفي أواخر ربيع الآخر سنة 750هـ، وهو من أهل الخير والصدقات لطلبة العلم⁶⁷. ومن الذين توفي في المرية من أفاضل أهلها؛ أحمد بن قاسم بن عبد الله الجذامي⁶⁸. وإلى جانب رجال الدولة والفقهاء والعلماء، والوجهاء راح ضحية هذا الوباء عدد كبير من الفقراء والضعفاء⁶⁹.

وبصورة عامة لم يقتصر الوباء على فئة معينة دون غيرها، فما استقيناه من كتب التراجم وغيرها يدل على أنه زار أغلب البيوتات الأندلسية الكبرى- فلم ينجو منه عالم ولا تاجر ولا طبيب-⁷⁰، وإن كان وقعه أشد في فئة العوام من الفقراء و النساء والصبيان، وقد فسر ابن الخطيب وقوعه في الفقراء أكثر إلى طبيعة ونمط حياتهم البسيطة التي تفرض عليهم السكن في أماكن ضيقة، وجهلهم بكيفية التعامل مع المرضى، أما النساء والصبيان فأرجع السبب "لوفرة الرطوبات التي هي متعلق الحرارة وبمنزلة الدهن لنار السراج..."⁷¹

وفيما يتعلق بآثر الطاعون على النواحي الاقتصادية، فقد ساهم التبادل التجاري بين المواني في انتشار العدوى، ومن ثم شهدت الحركة التجارية ركوداً⁷²، كما وقعت هجرات- فراراً من الوباء- خاصة في المدن الكبرى كمالقة والتي تفشى فيها الوباء بصورة كبيرة وصف بالملحمة الوبائية، مما دفع كثير من علمائها وفضلائها وزعمائها إلى الخروج منها⁷³. ولعل من الأحداث السياسية المهمة والتي كان للوباء دور حاسم في الحد من تفاقم تداعياته؛ حصار ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر (Alfonso XI) لجبل طارق سنة (750هـ/1349م) فنتيجة لتفشي الوباء بين الجنود وهلاك قسم كبير منهم كان منهم الملك نفسه في العام التالي، أضطر من بقى من الجنود لرفع الحصار والانسحاب من المدينة فسلمت المدينة من ويلات الحصار⁷⁴.

3. الطاعون الجارف في أدبيات معاصريه من المسلمين.

1.3 مؤلفات خاصة بطاعون منتصف القرن 8هـ/14م:

جاءت بعض مؤلفات العلماء المسلمين بصورة عامة والأندلسيين بصفة خاصة مسيطرة لمستجدات وباء طاعون منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي- الذي تفشى وانتشر في مناطق مختلفة في آسيا وإفريقيا وأوروبا- ومن ثم شكل هذا الوباء لأهل الأندلس بصفة خاصة حافزاً لميلاد ما يمكن تسميته بأدب الأوبئة الأندلسية.⁷⁵

أ. رسالة تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد لابن خاتمة (ت:770هـ/1369م):

أبو جعفر أحمد بن علي، طبيب ومؤرخ، وأديب من أهل المرية بالأندلس⁷⁶. شهد الطاعون الجارف الذي تفشى في مملكة غرناطة ودخل المرية سنة (749هـ/1349م) ووضع فيه رسالة طبية أسماها تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، والتي تعد من الرسائل الصحية المهمة في علم الأوبئة، ألفها تلبية لطلب صديق سألته عن حقيقة الطاعون الذي تفشى في المرية سنة 749هـ، اعتمد فيها على مشاهدته وملاحظاته للوباء، حيث جاءت مرتبة على عشر مسائل، يتعلق بعضها بمسائل طبية بحثة نحو حقيقة وباء الطاعون، وأسبابه القريبة والبعيدة، وطرق العدوى وانتقال المرض، وكيفية علاجه والاحتراز منه، والبعض الآخر يتعلق بمسائل شرعية⁷⁷، ولعل من المسائل المهمة التي تطرق لها ابن خاتمة:

أ. مسألة طبيعة وباء الطاعون :

قدم تعريفاً علمياً دقيقاً أقرب إلى التعريف العلمي المعاصر لوصف أي مرض وأعراضه المختلفة بناء على مشاهداته وملاحظاته فيعرف الطاعون بأنه: "حصى خبيثة دائمة، ينتج عن سوء مزاج قلبي، بسبب تغيير الهواء عن حاله الطبيعية، إلى الحرارة والرطوبة، مهلكة في الغالب، يتبعها كرب شديد وعرق غير تام، لا يعقب راحة ولا يرتفع عقبه حرارة، ثم يعقبه فتور في اليوم الثاني واضطراب في عامة الأوقات ثم تزايد، وقد يتبعها تشنج وبرد في الأطراف وقيء مراري سمج، وثقل في الصدر وضيق في التنفس ونفث

الدم... مع التهاب وعطش شديد وسعال وسواد في اللسان وتورم الحلق وامتناع الابتلاع أو عسرو وجع شديد في الرأس ودوار وغثيان..."⁷⁸.

ب. مسألة العدوى بالمرض:

ركز ابن خاتمة في تقرير حقيقة العدوى على الجانب الشرعي القائل بأن العدوى لا تنتقل بنفسها وإنما بإرادة الله تعالى، ومن ثم ذهب إلى ما برهنته التجربة والمشاهدة⁷⁹ ففي الكيفية التي ينتقل بها المرض من الشخص المصاب به إلى الشخص السليم بالملامسة والمجاورة يقول: "وحدث بعد طول معاناة أن المرء إذا ما لامس مريضاً أصابه الداء وظهرت عليه علاماته، فإن نرف الأول دما فنرف الآخر، فإن ظهر في الأول ورم ظهر في الآخر أيضاً ورم في المكان نفسه، وإن تكونت قروح سال منها في القيح الأول حصل للآخر مثله، هذا هو سبيل انتقاله من المصاب المريض إلى الثاني، وإلى الثالث"⁸⁰.

ت. مسألة الحجر الصحي:

أشار ابن خاتمة إلى الحجر الصحي ومدى جدواه في الحد من انتشار الطاعون حيث يقول: "وأطلعت من حال البلدان التي حرص أهلها على أن لا يدخل إليهم أحد من بلاد الوباء، وحافظوا على ذلك، أن استصحبوا السلامة زماناً..."⁸¹

ب. مقالة مقنعة السائل عن المرض الهائل لابن الخطيب(ت:776ه/1374م):

طبيب، مؤرخ، أديب، وزير، ولد ونشأ بغرناطة، له العديد من المصنفات⁸². تعد مقالاته مقنعة السائل مقالة طبية ووثيقة تاريخية مهمة في الطاعون الجارف الذي نكبت به الأندلس سنة 749هـ، تناول ابن الخطيب فيها:

أ. ظروف ظهور الوباء وانتشاره

اعتمد ابن الخطيب في معلوماته عن ظهور الوباء على ما ذكره الرحالة ابن بطوطة، فذكر أن مبدأ الوباء في الصين في حدود عام 734هـ، حيث تسببت الجثث المتعفنة، والحرائق في فساد الهواء، وكان لتعاقد الأسباب الدنيا(فساد الهواء) والأسباب القصوى(الأمور الفلكية) سبباً في تفشي الوباء⁸³.

ب. حقيقة المرض وأعراضه وكيفية الإصابة به

قدم ابن الخطيب وصفاً دقيقاً للمرض وأعراضه إذ يقول فيه: "هو مرض حاد، حار السبب، سمي المادة، يتصل بالروح بدءاً بواسطة الهواء، ويسري في العروق، فيفسد الدم، ويحيل رطوباته إلى السمية، وتتبعه الحمى ونفث الدم، أو يظهر عنه خراج، من جنس الطواعين"⁸⁴. أما فيما يتعلق بكيفية الإصابة بالمرض فوضح ابن الخطيب أن الإصابة به تكون في الأكثر عن طريق العدوى، بناء على التجربة والمشاهدة والاستقراء والأخبار المتواترة.⁸⁵

ت. طرق العلاج والوقاية:

يصف ابن الخطيب العلاج من جانبين؛ جانب الاحتراز والوقاية، وجانب العلاج بعد الإصابة، فالوقاية تكون من خلال إصلاح الأغذية والأهوية والمجالس واجتناب المرضى وكل متعلقاتهم من أواني وملابس وسكن ومجاورة. أما العلاج بعض الإصابة فيكون وفقاً للأعراض الظاهرة فإن كان العرض حمى فبعلاج الحمى، وإن كان العرض نفث الدم فبعلاج ذات الرئة، والخراج بتسكينه و بالفصد.⁸⁶

3) تقييد النصيحة للشقوري (ت بعد: 776هـ/1375م):

محمد بن علي بن عبد الله المعروف بالشقوري، نسبة إلى مدينة شقورة الأندلسية⁸⁷، مارس مهنة الطب في سن مبكر، واشتهر في البلاط الغرناطي⁸⁸. وتقييد النصيحة في الأصل جزء من مؤلفه تحقيق النبأ عن أمر الوباء⁸⁹. والتقييد عبارة عن نصائح طبية للوقاية من الطاعون وعلاج من أصيب به، ينحصر في؛ فصلين وتنبيه. جاء الفصل الأول في إصلاح الهواء والفصل الثاني في إصلاح الأبدان بالغذاء والدواء⁹⁰. أرجع الشقوري سبب الطاعون فساد ميثوث في الهواء المتنفث فيه، يقع هذا الفساد في الأبدان ويؤثر فيها، لذلك أمر الأطباء بإصلاح الهواء⁹¹. لم يتعرض الشقوري لمسألة العدوى وإنما أشار إليها إشارة خفية تتجلى في قوله "ولا ينبغي لأهل الجهل بالطب أن يتبعوا في ذلك هوى نفوسهم بل ينبغي الاقتداء بأهل الدين والفضل الذين هم مصابيح الهوى والأمة لمن بهم اقتدى، بل كثير من الناس يفهم من كلامه أن الطب يخالف أمر الله وهذا جهل من قائله، وإنما المخالف لأمر الله من نسب فعل المخلوق من كل وجه بل ذلك شر والعياذ بالله"⁹². ولعل من أهم النصائح الطبية التي قدمها الشقوري:

1. عدم إعطاء الأدوية والفصد دون مشورة ونظر الأطباء. فالشقوري يدعو " أهل الدين والعقل ممن أسند إليه أمر من أمور المسلمين أن يمنع أهل الجهل والإقدام من مضرة المسلمين بإعطاء الأدوية دون مشورة الأطباء، واستعمال الفصد كذلك...وما الذي يضر الفاصد أو العطار في ألا يقدم على شيء من ذلك إلا بنظر طبيب"⁹³.

2. إخبار المريض المصاب على الأكل عند فقدانه للشهية، لتمام بلوغ العافية وفي ذلك يقول: "فقد نص جماعة من الحكماء المهرة حسبما أحكمته التجربة، وشهد له القياس على أنه إذا سقطت شهوة الغذاء في مرض البواء، جبر المريض على الأكل، فإن أكثر من يتشجع ويأكل قسراً، يفيق من مرضه، فلا بد من جبرهم على الأكل"⁹⁴.

4) رسالة النبأ عن البواء لابن الوردي (ت:649هـ/1349):

شاعر، أديب، مؤرخ، من أدباء العصر المملوكي الأول العظام، نظم الشعر، وكتب في فنون النثر المختلفة⁹⁵. تعد رسالته الموسومة بـ النبأ عن البواء وثيقة تاريخية اجتماعية، صدرت من رجل عاصر الطاعون، وكان أحد ضحاياه⁹⁶، عمد ابن الوردي من خلالها إلى:

أ. تفسير انتشار وباء الطاعون:

عد ابن الوردي وباء الطاعون الذي تفشى في منتصف القرن الثامن الهجري سادس طاعون وقع في الإسلام، وعده من أشراط الساعة وذلك في قوله: "وعندي أنه الموت الذي أنذره نبينا عليه الصلاة والسلام"⁹⁷. كما اعتبره عقاب من الله تعالى على كثرة الخطايا فقال:

قالوا: فساد الهوى يردي فقلت يردي هوى الفساد
كم سيئات وكم خطايا نادى عليكم بها المنادي⁹⁸

ب. تتبع خط سير البواء وأماكن انتشاره:

تتبع ابن الوردي - في مطلع رسالته- خط سير البواء، حيث قدم صورة توضح المناطق التي ابتداءً فيها الطاعون ومنها انتشر حتى وصل إلى مدينته حلب بعد خمسة عشر سنة من مبدئه في الصين⁹⁹.

ت. بيان صورة الطاعون وما ترتب عليه من آثار:

عبر ابن الوردي عن وباء الطاعون من خلال معاشته للوباء، ومن ثم قدم صورة واقعية لوباء عام شامل أربع وأخاف وأمات الناس، بين أعراضه وطرق انتقاله وعلاجه والوقاية منه، كما بين آثاره على المناطق التي تفشى فيها، محصياً عدد من مات به في بعض المدن، موضحاً المفاصد التي طرأت على الحياة الاجتماعية، مبيناً فوائد الوباء¹⁰⁰ "ومن فوائده تقصير الآمال، وتحسين الأعمال، واليقظة من الغفلة، والتزود للرحلة"¹⁰¹.

2.3 مؤلفات عامة :

إلى جانب تلك المؤلفات، لم تخلو كتب التاريخ والتراجم والرحلات والفقهاء من التعرض للطاعون الجارف وآثاره على المجتمعات التي تفشى فيها نذكر منها:

(1) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي المالقي(ت: 776هـ/1374م):

أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن قاض، أديب، مؤرخ، ولد بمالقة ورحل إلى غرناطة، ولي خطة قضاها¹⁰². عمد النباهي من خلال من ترجم لهم من قضاة الأندلس إلى الحديث عن الطاعون والذي وصف شدته في مالقة بالملحمة الوبائية التي راح ضحيتها في اليوم الواحد من أهل مالقة ما يزيد على الألف. وفي معرض حديثه عن ما سببه الطاعون الكبير من إزهاق للأرواح، تعرض إلى الجهود المجتمعية المبذولة - لمجابهة الطاعون والحد من آثاره- والمتمثلة في أموال جمعها أهالي مالقة، واستودعها قاضيهم وعهدوا إليه بشأن تفريقها، فعم بنفعها الطلاب والفقراء والغرباء، كما هيئت المقابر وجهزت الأكفان¹⁰³.

(2) العبر والمقدمة لابن خلدون (ت: 808هـ/1406م):

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون فيلسوف و مؤرخ، و عالم اجتماع، أصله من إشبيلية، ومولده و منشأه بتونس¹⁰⁴. تعرض ابن خلدون في تاريخه المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر إلى وباء منتصف القرن الثامن الهجري، شأنه في ذلك شأن الإخباريين في تتبع وباء طارئ، وتسجيل حجم فتكه بفئات المجتمع المختلفة، كان منهم والديه وعدد من شيوخه¹⁰⁵. أما في مقدمته فقد أرجع سبب الطاعون إلى "فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة"، وفيما يتعلق بآثار

الطاعون الجارف قدم لنا نصاً يكشف عن التحول الكبير الذي أحدثه الطاعون من خراب ودمار في العمران وفي ديمغرافية المغرب¹⁰⁶.
(3 تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة (ت:779 هـ/1377م):

أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحالة، مؤرخ، ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى ومنها خرج في رحلة سنة 725 هـ وانتهت سنة 754 هـ، طاف فيها بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام والعراق وفاس وغيرها¹⁰⁷. شاهد ابن بطوطة الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة 749 هـ، وتعرض له في مؤلفه الموسوم بتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، من خلال نص يعكس بعض الإجراءات الرسمية التي اتخذتها السلطة في مواجهة الطاعون، والمتمثلة في توجيه دعوة عامة في دمشق للصيام لمدة ثلاثة أيام متتالية والتضرع والتوسل إلى الله، كما قدم إحصائيات لضحايا الطاعون في بعض المدن العربية في المشرق دون المغرب¹⁰⁸.

(4 دفع النقمة بالصلاة على نبي الرحمة لأبن أبي حجلة التلمساني (ت:776):
ألف ابن أبي حجلة هذا الكتاب في طاعون سنة 764 هـ والذي تفشى في مصر، ورتبه على مقدمتين وأربعين حديثاً وتتمه وسبعة أبواب وخاتمة¹⁰⁹. ذكر ابن حجلة في المقدمة الأولى سبب تأليفه للكتاب والذي أرجعه إلى قول بعض الصالحين إن كثرة الصلاة على أشرف المرسلين تدفع الطاعون إن شاء الله¹¹⁰. تعرض ابن أبي حجلة في مؤلفه هذا للطاعون الجارف في الباب السابع والذي خصه لذكر الطواعين الحادثة من أول الإسلام إلى عام 764 هـ، وعد الطاعون الجارف الطاعون الحادي والعشرين، يقول فيه: "يعرف عند العوام بالفصل، هذا الطاعون الذي عم البلاد وأباد العباد وقطع كل دابة وتنادى بين أهل الشرق والغرب وسار سير الشمس في كل بلده... فكثرت به الأوجاع... فلم تسلم منه أي من الأمصار والمدن الكبار والصغار في سائر الأقطار... وإن مقدار من مات فيه على جهة التقريب في سائر الدنيا نصف العالم وأكثر..."¹¹¹.

خاتمة:

من خلال محاولتنا التعريف بوباء طاعون منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وآثاره على المجتمع الغرناطي خلصنا إلى النتائج التالية:
- إن مفهوم الوباء في المصطلح العلمي أشمل وأعم من مفهوم الطاعون، فالوباء يشمل أمراض عديدة منها مرض الطاعون، ومن ثم الطاعون وباء وليس كل وباء طاعون.
- إن الطاعون من الأوبئة التي عانى منها المسلمون على مر عصور تاريخهم، فلا غرو أن نجده حاضراً في مختلف مصنفاتهم العلمية.
- أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث نبوية صحيحة تناولت الأحكام الفقهية للطاعون .
- عرف طاعون منتصف القرن الثامن الهجري بعدة أسماء وصفات، نحو الطاعون الكبير، الطاعون الأعظم، الموت الأسود، تشير جميعها إلى هول وشدة هذا الوباء ومدى الرعب الذي أدخله في نفوس الناس.
- إن الجهل بأسباب وباء الطاعون في العصور الوسطى وطرق علاجه ساعد على انتشاره في أنحاء العالم، ومن ثم شملت آثاره مجالات الحياة المختلفة.
- إن الأوبئة والطواعين من الظواهر الطارئة التي فرضت على المؤلفين والإخباريين تسجيل حجم الدمار الذي أحدثته في المجتمعات التي انتشرت وتفشت فيها.
- كشفت مؤلفات الأندلسيين في الأمراض والأوبئة عن تباين الرؤى بين الأطباء والفقهاء، في أسباب المرض ومسألة العدوى.
- لعب الحجر الصحي دوراً فاعلاً في الحد من انتشار وتفشي وباء الطاعون في بعض مناطق مملكة غرناطة .
- أسهم العلماء الأندلسيين بإنتاجهم العلمي، وبتعزيزهم لثقافة التكافل والتضامن المجتمعي في الحد من تداعيات وباء الطاعون الجارف .
- ساهم عدد من أطباء مملكة غرناطة ممن شهدوا الطاعون الجارف أمثال ابن الخطيب، وابن خاتمة، والشقوري في دراسة الطاعون ووضعوا فيه تواليف هدفوا من خلالها التعريف بالطاعون وأنواعه وأسبابه وأعراضه وسبل الوقاية والعلاج منه.

الهوامش:

- ¹ الجوهري، أبو نصر إسماعيل، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 2009، ص1224.
- ² ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة(د.ت) ص4751.
- ³ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م، ص55.
- ⁴ قلعة جي، محمد رواس، معجم لغة الفقهاء، بيروت، دار النفائس، 1996م، ص469.
- ⁵ ابن سينا، أبي علي الحسين، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد أمين الضنّاوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ص125.
- ⁶ ابن النفيس، علاء الدين علي، الصيدلة المجربة، دارالمحجة البيضاء، بيروت، 2002م، ص379.
- ⁷ الأنطاكي، داود عمر، بغية المحتاج في المجرب من العلاج، دار الفكر، بيروت، 1995م، ص333.
- ⁸ الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ص207.
- ⁹ ابن منظور، لسان العرب، ص2677.
- ¹⁰ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1213.
- ¹¹ الرازي، أبو بكر محمد، الحاوي في الطب، مراجعة وتصحيح: محمد محمد إسماعيل، مج6، ج17، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000، ص6.
- ¹² ابن الخطيب، لسان الدين، مقنعة السائل عن المرض الهائل، الرباط، دار الأمان، 2015م، ص65-66.
- ¹³ نقلاً عن: بلالطة، عبير، الطاعون الجارف وتأثيره الذهني على إنسان بلاد المغرب الإسلامي إلى تمام القرن 9هـ/15م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، الجزائر، (2019-2020) ص14.
- ¹⁴ انظر: خياط، يوسف، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت، ص415.
- ¹⁵ أيضاً: منصور، زينب، معجم الأمراض وعلاجها، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2010م، ص528.
- ¹⁵ جبر، أحمد عبد الرازق، الطاعون الخطر القادم، قسم إنتاج الحيوان، كلية الزراعة، جامعة المنصورة، 2019م، ص2.
- ¹⁶ جوتفريد، روبرت، الموت الأسود، ترجمة: أبو أدهم، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2017م، ص7.

العنوان: الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجاً
المؤلف: د. خديجة خيري عبد الكريم خيري

- ¹⁷ أحمد، يوسف الحاج ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ط2، دار ابن حجر، دمشق، 2003م، ص610
- ¹⁸ بلجة، عبد القادر، مملكة غرناطة في مواجهة الطاعون في القرن 8هـ/14م، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج3، ع2، 2020م، ص152. جوتفريد، الموت الأسود، ص8.
- ¹⁹ المناجعة، عيد صباح حمدان، المجاعات والأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية في الأندلس من الفتح إلى السقوط (92-897هـ / 711-1492م) رسالة دكتوراه، عمادة الدراسات العليا، جامعة مؤتة، 2014م، ص75.
- ²⁰ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، صورة من مخطوطة أصلها في مكتبة المجلس الإسلامي في إيران، مكتبة محمد بن تركي التركي، شبكة الألوكة، ورقة14.
- ²¹ أبو الحب، جليل، الحشرات الناقلة للأمراض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1982، ص63.
- ²² مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (CDC) **plague-transmission**، 31 يوليو 2019م تاريخ الدخول 10 مايو 2021م.
- <http://www.cdc.gov/plague/transmission/index.html>
- ²³ السعداوي، أحمد المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الأعظم والطواعين التي تلتها، مجلة معهد الآداب العربية (ابلا)، ع175، تونس، 1995م، ص131.
- ²⁴ منظمة الصحة العالمية (2017) الطاعون، تاريخ الدخول 10 مايو 2021م
- <http://www.who.int/features/qa/plague/ar/>
- ²⁵ مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (CDC) **symptoms- plague**، 27 نوفمبر 2018م، تاريخ الدخول 10 مايو 2021م
- <http://www.cdc.gov/plague/symptoms/index.html>
- ²⁶ أبو الحب، الحشرات الناقلة للأمراض، ص63.
- ²⁷ ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008م، ص277
- ²⁸ منظمة الصحة العالمية (2017) الطاعون، تاريخ الدخول 10 مايو 2021م
- <http://www.who.int/features/qa/plague/ar/>
- ²⁹ ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر، ديوان ابن الوردي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2006م، ص89
- ³⁰ جبر، الطاعون الخطر القادم، ص ص7-8.

العنوان: الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجاً
المؤلف: د. خديجة خيرى عبد الكريم خيرى

³¹ مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها (CDC) **symptoms- plague** 27 نوفمبر 2018م تاريخ الدخول 10 مايو 2021م.

<http://www.cdc.gov/plague/symptoms/index.html>

³² ابن سينا، القانون في الطب، ج3، مكتبة المثنى، بغداد، 1984م، ص122.

³³ المقريزي، تقي الدين، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص81

³⁴ لمسميات الطاعون الجارف انظر: بلالطة، الطاعون الجارف، ص ص 80-83. أيضاً: السعداوي، المغرب الإسلامي، ص11.

³⁵ ووكر، ريتشارد، الأوبئة والطواعين، نقله إلى العربية: مركز ابن العماد للترجمة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2007م، ص26

³⁶ Gasque, Francis Aidan, The Black Death of B1348and1349,²edition, London,1908, p8.

³⁷ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص81

³⁸ Gasque ,The Black Death, p14.

³⁹ فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر، بيروت، دار الجيل، 1993م، ص113.

⁴⁰ ابن الخطيب، مقنعة السائل ، ص65.

⁴¹ Gasque, The Black Death , p12.

⁴² ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص66.

⁴³ Gasque ,The Black Death, p9.

⁴⁴ ووكر، الأوبئة والطواعين، ص27.

⁴⁵ أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي، ص607.

⁴⁶ أحمد، المرجع السابق، ص607.

⁴⁷ ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج42، رقم الحديث(25118) ، 2001م، ص53.

⁴⁸ أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي ، ص608.

⁴⁹ ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الطب النبوي ، دار الفكر، بيروت(د.ت) ص34.

⁵⁰ انظر: ابن الخطيب، مقنعة السائل ، ص48.

⁵¹ المصدر السابق، ص73-74.

العنوان: الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجاً
المؤلف: د. خديجة خيري عبد الكريم خيري

- ⁵² البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى، رقم الحديث(5774) دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ص 1461.
- ⁵³ زينل، مهاد عباس، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص173.
- ⁵⁴ رشيد، يماني، موقف أطباء غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري، مجلة كان التاريخية، ع43، 2019م، ص119-120.
- ⁵⁵ البياض، عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس، بيروت، دار الطليعة، 2008م، ص266.
- ⁵⁶ ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مج3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1975م، ص242.
- ⁵⁷ النباهي، أبو الحسن، تاريخ قضاة الأندلس، القاهرة، دار الكاتب المصري، 1948م، ص156.
- ⁵⁸ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص ص66-67.
- ⁵⁹ بلالطة، الطاعون الجارف، ص24-25.
- ⁶⁰ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص67.
- ⁶¹ انظر: ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، حققه: عبد الهادي التازي، مج1، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1997م، ص326. أيضاً: صلاح، محمد حمزة، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر(491-923هـ/1097-1517م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م، ص167.
- ⁶² ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص56.
- ⁶³ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص156.
- ⁶⁴ رشيد، يماني، تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في غرناطة، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، مج1، ع2، مخبر الجزائر والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، الجزائر، 2015م، ص50.
- ⁶⁵ ابن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص242.
- ⁶⁶ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص154-155.
- ⁶⁷ ابن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص78-79.
- ⁶⁸ القاضي، أبو العباس أحمد، درة الحجال في أسماء الرجال، ج1، 1971م، ص133-135.

العنوان: الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجاً
المؤلف: د. خديجة خيري عبد الكريم خيري

- ⁶⁹ ابن الخطيب، (مقنعة السائل) المرجع السابق ، ص 77.
- ⁷⁰ رشيد، تداعيات وباء، ص 50.
- ⁷¹ ابن الخطيب، (مقنعة السائل) المرجع السابق ، ص 81.
- ⁷² بلجة، مملكة غرناطة ، ص 162.
- ⁷³ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس ، ص 156.
- ⁷⁴ ابن الخطيب، اللمحة البديرة، ص 95. الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، دار القلم، بيروت، 1981م، ص 548.
- ⁷⁵ الصلابي، محمد ياسر(2002م) أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط، الأيام الوطنية العاشرة: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، ص 170.
- ⁷⁶ لترجمته انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام ، ط 7، ج 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ص 176. أيضاً: حميدان، زهير، الموسوعة العربية، مج 8، دمشق، 2003م، ص 724-725.
- ⁷⁷ ابن الخطيب، (مقنعة السائل) المرجع السابق، ص 18-19.
- ⁷⁸ زينل، الإنجازات العلمية ص ص 170-171.
- ⁷⁹ بلالطة، الطاعون الجارف، ص 53.
- ⁸⁰ زينل، الإنجازات العلمية، ص 170.
- ⁸¹ ابن الخطيب، مقنعة السائل ، ص 48.
- ⁸² الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط 15، ج 6، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص 235.
- ⁸³ ابن الخطيب، (مقنعة السائل) المرجع السابق، ص 76.
- ⁸⁴ ابن الخطيب، المرجع السابق، ص 65-66.
- ⁸⁵ ابن الخطيب، (مقنعة السائل) المرجع السابق ، ص 72.
- ⁸⁶ ابن الخطيب، (مقنعة السائل) المرجع السابق ، ص 67.
- ⁸⁷ شقورة: مدينة بالأندلس شمالي مرسية. ياقوت، شهاب الدين أبي عبدالله، معجم البلدان، مج 3، دار صادر، بيروت(د.ت) ص 355.
- ⁸⁸ ابن الخطيب، الإحاطة ، مج 3، ص 177-178. بلالطة، الطاعون الجارف، ص 39.
- ⁸⁹ رشيد، موقف أطباء غرناطة، ص 120.
- ⁹⁰ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص ص 22-23.

العنوان: الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة: الطاعون الجارف نموذجاً
المؤلف: د. خديجة خيرى عبد الكريم خيرى

- ⁹¹ ابن الخطيب، المرجع السابق، ص22. بلالطة، الطاعون الجارف، ص44.
- ⁹² بلالطة، الطاعون الجارف، ص53.
- ⁹³ ابن الخطيب، مقنعة السائل، ص23.
- ⁹⁴ ابن الخطيب، المرجع السابق، ص23.
- ⁹⁵ الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط9، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ص67 .
- ⁹⁶ عبد الرحيم، رائد، رسالة النبأ عن الوبا لزين الدين بن الوردى - دراسة نقدية- مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مجلد24 (5) 2010م، ص1495 .
- ⁹⁷ ابن الوردى، ديوان ابن الوردى، ص89.
- ⁹⁸ ابن الوردى، المرجع السابق، ص90.
- ⁹⁹ ابن الوردى، ، ص87.
- ¹⁰⁰ عبد الرحيم، رسالة النبأ عن الوبا، ص1502-1504.
- ¹⁰¹ ابن الوردى، ديوان ابن الوردى، ص90.
- ¹⁰² الزركلي، الأعلام، ص306.
- ¹⁰³ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص156 .
- ¹⁰⁴ الزركلي، خير الدين، الأعلام ، ط7، ج3، بيروت، دار العلم للملايين، 1986م، ص330.
- ¹⁰⁵ ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، بيروت، 1970م، ص398 .
- ¹⁰⁶ ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص277 .
- ¹⁰⁷ الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط15، ج6، دار العلم للملايين،، بيروت، 2002م، ص235.
- ¹⁰⁸ ابن بطوطة، تحفة النظار، مج1 ص ص325-326.
- ¹⁰⁹ حاجي، خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مج1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت) ص757.
- ¹¹⁰ ابن أبي حجلة، دفع النعمة بالصلاة على نبي الرحمة.(صورة من مخطوط) أصل النسخة في مكتبة الاسكوريال، مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي، شبكة الألوكة، ورقة 4ب.
- ¹¹¹ ابن أبي حجلة، دفع النعمة، ورقة 175أ ب.